



بصمات في تاريخ الكويت

صمود الأبطال



الشهيد يوسف بن جاسر بن الصالح

## بصمات خالدة

العطاء، بدرجاته المختلفة، قيمة إنسانية عظيمة.. وعندما يصل العطاء الى التضحية بالروح فإنها تجسد القيم الإنسانية لأنها تعكس سمو النفس، وعلو الهمة، ولأنها تجسد الإيمان المطلق بأن الحياة الحقيقية هي الحياة الكريمة وهذه تستحق التضحية بأثمن ما يملكه الإنسان وهو النفس... لقد تجلت جميع هذه القيم الإنسانية النبيلة في ملحمة بطولية أثناء تعرض الكويت للغزو.. لقد توقف الزمن عندها ليشهد هذه الملحمة الإنسانية النادرة وليشهد عليها أيضاً ليكون بعدها توثيقاً للحدث يستهدف إعلاء شأن الوطن وشأن القيم وإعلاء لشأن الإنسان والذي هو محور كل ذلك، وتعزيزاً وتدعيماً للقيم الإنسانية النبيلة التي جسدها التضحيات العظيمة لأبناء هذا البلد الأمين فقد ارتأى المكتب أن يوثق هذه القيم ضمن سلسلة من القصص التي تعكس مآثر وتضحيات أبناء هذا البلد لتظل نافذة للأجيال القادمة يشهدون من خلالها أسمى معاني الأيثار ولينهلوا منها معاني الوفاء والعمل والحياة الكريمة..

تخليد ورعاية

- تكريم الشهيد عن طريق تخليد بطولاته ورعاية ذويه رعاية متميزة في الجوانب المادية والمعنوية.

تخليد ورعاية



# صمود الأبطال

عن قصة الشهيد(\*)

يوسف جاسر محمد الصالح

بقلم

فوزية السويلم

(\*) تمت الاستعانة ببحوثات الشهيد من كتاب د. نجاة عبدالقادر الجاسم: شهداء الكويت، بطولاتهم وتضحياتهم، الجزء الثالث، ص ٤٧ - ٥٥.

صمود الأبطال

- ١ -





953.8 السويلم ، فوزية  
صمود الأبطال: قصة الشهيد يوسف جاسر محمد الصالح / بقلم فوزية السويلم  
ط5 - الكويت: مكتب الشهيد، 2013  
17ص : 21سم. - (بصمات في تاريخ الكويت)  
1 - الكويت - تاريخ - الاحتلال العراقي (1990/8/2 - 1991/2/26).  
2 - الشهيد يوسف جاسر محمد الصالح. أ - العنوان.  
ب- السلسلة

**Depository Number: 2005/00350**

**ISBN: 99906 - 84 - 01 - 4**

صمود الأبطال

- ٢ -





«إهداء»

إلى أرضي الصغيرة ...

إلى حبي الكبير ...

إلى من يستحق التضحية والعطاء ...

«إلى الكويت»

مكتب الشهيد

صمود الأبطال

- ٢ -





## بصمات في تاريخ الكويت

إن كانت المعاناة والألام بما يصاحبها من آمال وكبرياء تتفتح أدباً وشعراً وفتناً، فذلك هو حال الحركة الأدبية والثقافية في دولة الكويت التي انتصرت وجدانياً وأدبياً للتطورات السياسية والاجتماعية والإنسانية التي عاشها العالم العربي منذ منتصف القرن الماضي، مروراً بأشهر الاحتلال الصدامي لبلدنا الحبيب الكويت.

سجلت الحركة الأدبية والثقافية في بلدنا ظهور أعداد كبيرة من العمالقة الرواد والمبدعين الكويتيين الذين تركوا بصمات واضحة في مسيرة العلم والثقافة والفكر والفن والأدب، وأجادوا فن الكتابة والتعبير شعراً ونثراً.

في مجموعتنا « **بصمات في تاريخ الكويت** » أراد مكتب الشهيد أن يسجل للتاريخ فورة غضب الكويتيين على المحتل، وإرادة النصر على الغاصب مهما كانت عدته وعديده، والرغبة في الشهادة فداءً للأرض والعرض. فعندما تحقق النصر وطُرد الغزاة حكمت اليراعات الكويتية قصص بطولات، ووثقت معارك شرف وملاحم شرسة، خاضها ضد المحتل، شبان وشابات بصدور عامرة بعشق الكويت وقلوب مؤمنة بنصر الله.

« **بصمات في تاريخ الكويت** » تضم باقة من أدب النصر على الاحتلال، وصفحات من الكفاح لتحرير الأرض. وهي هديتنا لأبنائنا وإخواننا من هذا الجيل ومن الأجيال القادمة في بلدنا الكويت، وفي كل مكان من هذا العالم، نبراساً لتصدي الحق وانتصاره على الباطل، وشاهداً على حب الوطن وتقديسه، ووفاء لمن ضحوا بأرواحهم فداءً للكويت.

الوكيل المساعد

المدير العام لمكتب الشهيد

فاطمة أحمد الأمير

صمود الأبطال

- ٤ -





أخذ يرنو إلى الفضاء الرحب الذي يُغطي الحديقة، تعود به الذاكرة بعيداً إلى أيام طفولته.. تذكر الحيامة.. إنها تبحث عن طعام. رد عليها بتحد: أنا لا أخاف من الحيامة أو غيرها.. سأخرج. قالت: ولكن منظرها بشع ومخيف.. كل الأطفال يخافون منها.. أجاب: سأخرج.. بيوت طينية مُتلاصقة، وأزقة ضيقة تفصلهما ساحات تُرابية.. أبواباً خشبية.. صبية يتجمعون هنا وهناك.. امرأة تجوب الشوارع طلباً للرزق.. بشعة المنظر، تحمل كيساً أخضر.. تصرخ بين الحين والآخر (حيامة حيام).. لا تخلو الأزقة من المجانين الذين يخيفون الأطفال. فتيات يجلسن على عتبة منازلهن وهن يرتدين الأزياء الشعبية، ينظرن إلى الأطفال وهم يلعبون بالقرب من منازلهم.

يحدث نفسه بصمت: كم أتمنى أن تعود تلك الأيام لترى ما نحن عليه الآن.. بيتسم يعود مرة ثانية إلى الماضي.

يعطر حواسه بذكريات الطفولة.. غرفة معلقة في الطريق تصل ما بين بيتين\*، صبية يلعبون تحت ظلالتها.. يسمع الأصوات تنادي يوسف.. يقترب منه أحد الصبية يضع على عينيه «الغتر»\*\*

يداعبونه.. يحاول أن يمسكهم.. يفرون منه.. قال بصمت: ما أجمل لعبة عما كور.. أخذ يردد.. عما كور طاح بالتثور.. قالت والدته وهي تخضب يديها بالحناء.. أين كنت: قال كنت ألعب مع أصدقائي. قالت: الغداء جاهز. قال وهو يرشف الماء من البرمة، ثم سأل والإرهاق واضح على مقلتيه: ماذا طبختي لنا يا أمي؟ قالت: هريس ومنهنة. قال: أريد «قرص عقيلي».. قالت: في المطبخ.

\* مع الأطفال في الماضي ... للكاتب أيوب حسين ص ٥٢.

\*\* لباس شعبي خاص بالرجال .. يغطي الرأس، ص ٢٤.





صوت الدبابات يهز المباني.. القصور.. أزيز الطائرات يزعج أذنيه.  
المدينة تغرق بدم الاستقرار.. يمد يده يتناول حبة مسكنة للصداع..  
العشب الذي يميل إلى الإصفرار يتمايل وكأنه يرفض الواقع. الأشجار  
تقف بشموخ رغم اصفرارها.. جذورها قوية.. سقيت بماء بحر الخليج،  
بأمطار الولاء الغزير.. الغيوم حُبلَى بهموم الغدر والخيانة.. خطوات  
الجنود المنتظمة تخطف منه الاستمتاع بالماضي.. وترغمه على العودة  
إلى الحاضر.. يسأله الجندي: من أنت؟ قال: أنا الكويتي.. قال الجندي  
بغضب: هل أنت تسخر مني، أنا لم أسألك عن جنسيتك. وإنما عن  
اسمك. قال: يوسف. ما الذي تحمله بيدك؟ أجاب: قمامة قال الجندي:  
قمامة فقط؟ افتح الكيس: قال يوسف: خذ الكيس افتحه أنت. تبعثرت  
القمامة، تلوث البيئة ترك الجندي المكان الملوث ثم اتجه إلى طريق  
آخر.

قال بصوت خافت: سأنظف البلد من القاذورات إذا أمكن لي ذلك.

إلتفت يميناً رأى جندياً آخر، سأله ماذا تفعل؟ أجاب كما أنت ترى.  
قال: هل تريد أن ترتاح من هذا التعب؟  
أجاب يوسف وكأنه فهم ماذا يقصد: لا.. لا أريد أن أرتاح. ثم تابع إنى  
أعالج الوضع! جلس الجندي ثم قال: هل لديك سيجارة؟ أجاب يوسف:  
للأسف لا أدخن!

قال الجندي بلهجة حادة: أرني جيوبك. أجاب يوسف للأسف لا أعرف  
الكذب! قال الجندي: كم أنتم أغبياء.

تابع: جميع منازلكم كالقصور.. قال يوسف: كنا فقراء نفوس في أعماق  
البحار لنبحث عن لقمة العيش.. ولكن كنا أغبياء!

تابع وهو شارد الذهن: جميع منازلنا وطن لنا.





همس في أذن الجندي: ما رأيك في جهاز فيديو.

قال الجندي و هو بيتسم: جميل.. إذن أنت برىء.

الشوارع تعزف لحن الغربية. الأرصفة تزدهم بالبسطات في جمعية الخالدية.. الوجوه تتزاحم، تتساءل ما المصير؟ يفتح الراديو، يستمع إلى إذاعة الرياضة.. وهي تنقل تحيات الكويتيين في الخارج.. يفكر بتاريخ ١٨/١٠/١٩٩٠م. لقد غادر ابنه الضابط الكويت.. استطاع أن يقنعه.. قال يحدث نفسه: أين أنت يا ولدي الآن؟ ها أنت أمامي تعمل من أجل الوطن.. يمتزج الحزن بالألم بالخوف، بالرعب، بالرغبة.. دبابات تربيض في كل حي.. الكون يرتدي ثوباً فضياً منثوراً عليه بقعاً سوداء يخص بها أمة عربية.

ثوب منسوج بأيد غادرة.. خائنة.. هم وضعوا بقعاً سوداء..

الرضيع يصرخ ليضيف إلى عويلنا عويلاً آخر.. رفع رأسه نظر إلى أعلى.. قالوا له الجنود بغضب: لماذا لم تغير لوحة السيارة كما أمرناك؟ أجاب يوسف بهدوء: لن أغيرها.. صرخ الجندي: لماذا؟

-لأني كويتي ولا أستطيع أن أكون غير ذلك

واصل الجندي أنت تتحدانا.

-لا ولكنه القدر.

عنفوان يُبحر مع الأعماق.. يبحث عن السلام.. جرح غائر يأخذ بالتقرح كل شيء ينبض بحب الوطن.. يعود إلى الماضي. مجموعة من الصبية يغنون.. يرددون. «باچر» العيد ونذبح بقرة وننادي: مسعود جبيرالخنفرة\* الأفراح تعم البيوت.. الناس يرتدون ملابس جديدة.. اليوم عيد الفطر.. انتصبت الديارف الخشبية توزع البهجة على الأطفال.. قال يحدث نفسه: لماذا لم ندخر قليلاً من البهجة إلى اليوم.. إلى هذا الواقع.. الحاضر المؤلم.. المحزن.. المفرح في نفس

\* كتاب مع الأطفال في الماضي.. للكاتب أيوب حسين.







الوقت لأننا سنحضن الوطن.. الأرض.  
منطقة الرميثية تشهد مسرحية كتب فصولها الزمن. أبطالها يغردون  
لغة الولاء.. لغة الوفاء بالعهد.. صراع الخير مع الشر.. الجحود مع  
الاعتراف بالجميل.. نوافذ مغلقة.. بيوت ملونة بالأزرق والوردي..  
مكسوة بالحجر يكثر في فنائها أوراق السدر والصفصاف المتساقط..  
منارات المساجد تنتصب تحيي صمود الأبطال.. أصوات خفية تكسر  
الصمت الذي يُخيم على المدينة.. أجهزة الاتصالات تنقل تحركات  
الطفل الرضيع.. غيمة سوداء تحيط بالمارة، ثلة من الغزاة يقتحمون  
منزل يوسف:

دوي الانفجارات يثير رعب الأطفال النائمين.. سألوا يوسف: أين ابنك  
صلاح؟ قال يوسف: ليس هنا. قالوا بغضب فاضح: أين هو؟  
أجاب يوسف: خارج البلاد.

صرخوا في وجهه: أنت تكذب: هيا فتشوا المنزل غرفة غرفة، حتى  
دورات المياه، قال يوسف: لا حول ولا قوة إلا بالله، لقد قلت لكم إنه  
خارج البلاد.

قال الجندي بلهجة حادة: سنخرج الآن ولكن لن نتركك.. سنعود مرة  
ثانية للتفتيش. لن ترتاح إلا إذا أخبرتنا عن مكان ابنك. أفهمت؟  
أجاب يوسف ساخراً: سأخبركم حال معرفتي بذلك.

يوم جديد يحمل مفاجآت جديدة، والجنود المعتدين يواصلون انتشارهم  
في كل ناحية، وكل شيء ينذر بالخطر.. أزيز الطائرات.. ضخامة  
الدبابات.. صوت المسدسات.. نقط السيطرة عند كل تقاطع وعلى كل  
جسر.. شباب ينهمكون في إزالة اليافطات المعدنية والإشارات الدالة  
على أسماء الشوارع وأرقام القطع والمنازل.. وبعضهم يحترق بلهب





التور ليوفر الخبز للجائعين.. سيارات تتوقف عند كل بيت لتمدهم  
بالمواد الغذائية.. يوسف يهتف لصديقه  
هذا البيت لم يستلم التموين.. أجاب صديقه ستقوم الآن بإمداده بكل  
مايلزمه من طعام وشراب.  
سأله صديقه هل اتصل بك ابنك صلاح: قال بشيء من الحزن:

لا.. قال: خير فعلت عندما أقنعتة بالسفر.. فهم يفتشون على  
الضباط.. قال يوسف: علينا أن نساعد الأهالي في تنظيف المنطقة.  
سأله صديقه بدهشة: هل ستقوم أنت بحمل القمامة.

قال يوسف: بإصرار وتواضع: نعم.. هيا بنا الآن: فالجنود في غفلة.  
دوار جوازات حولي يرصد متناقضات.

بطولة، إجرام، حب، كره، جمال، قبح.. صورتان متعاكستان  
متناقضتان.. يرصد حماقات الجنود.. وأهات العجائز.. اللاتي  
يتساءلن.. ما المصير؟ مأساة أمة تتجسد في التفكك. التبعض. هدم  
الإنسان العربي.. علاقات تتعفن.. تسكن في مهب الريح.. تسرق  
براءة الطفولة من ضحكاتهم.. ندخل انفاقاً نجعل مخارجها.. وجوه  
ملامحها قديمة ولكنها جديدة علينا.. غريبة بالنسبة لنا.. يتمدد  
على السرير يحاول أن ينام، يدخل عليه آدم بقامته الطويلة و بشرته  
السوداء.. عمي تريد شيئاً؟

يجيب يوسف: بودي لو نستكمل توزيع المواد الغذائية على بقية  
البيوت.  
قال آدم: ولكن الوقت متأخر الآن.

يوسف: لا بأس فأنا لم أستطع النوم بسبب هذا الموضوع. لنذهب الآن  
ونطرق الأبواب. ثم استطرد قائلاً: قد يكونون محتاجين وقد يكونون





جائعين.. هيا بنا يا آدم، الفضاء واسع ورحب يستوعب حلم البائسين والمتفائلين.. انتهاء الأزمة حلم كبير.. يقترب من الواقع تارة وبيتعد تارة أخرى.

أخذ يردد.. الأرض ليست يتيمة؟ من يجروء على اغتصابها مجنون، مجنون.. يطرق الباب برفق.. يأتي صوت .. يهمس.. يجيب: خذوا الخبز والأرز.. هيا افتحوا الباب بسرعة.. يمد يده بحذر ثم يعطيهم كيساً مملوء. يعود إلى الماضي يوم كان يغني مع الأطفال، قرقيعان وقرقيعان عادة عليكم صيام كل سنه وكل عام.

فتيات صغيرات يرتدين البخنق والثوب.. يلفون الفرجان يحملن كيساً ليجمعن به المكسرات من الأسر التي تقوم بتوزيع القرقيعان مقابل أن يغنوا.. أغنيتهم الفلكلورية..

قرقيعان وقرقيعان.. بيت قصير ورمضان.  
سلم ولدهم ياالله- خله له يا الله.

يردد مع الصبية أهزيج الاحتفاء بشهر رمضان وبالتحديد في منتصف الشهر.. يرتدي الدشداشة والفترة والعقال والدته مسرورة بهذا اللبس الذي يوحى لها بأن ابنها أصبح رجلاً كبيراً.. فتبتسم.. وتصفق.. وتضع إناء كبيراً واسعاً يحتوي على مكسرات وأنواع من الحلوى.. تقبله والدته وتقول: ما شاء الله عليك مثل القمر.. تضع في جيوبه قليلاً من الملح حتى لا تصيبه عيون الحساد.. انتهى من اللعب والأغاني.. عرج إلى السوق... دكاكين صغيرة متلاصقة.. اشترى زلابيا وغريبة.. اتجه مسرعاً إلى والدته.

خاطبها مسروراً: اشتريت لك حلويات.. انظري إنها لذيذة تذوقها.. يجلس على الحصير يفتح الكيس المملوء بالمكسرات. تغلبه الغنوة، فينم بجانبه السراج، يعود إلى الحاضر يخاطب نفسه بصمت: هل كنا نعلم





بأن القدر يخفي لنا شيئاً اسمه غزو أو احتلال؟ تابع: تاريخنا لامع، نظيف، نتعامل بسلام وحب.. لو ادخرنا ولو القليل من الطمأنينة لهذا اليوم.. ارتسمت على وجهه ابتسامة حزن.. اجتمعوا على مائدة الغداء.. دخل أحمد.. أين أنتم من الأحداث؟ لقد هجموا على منطقة كيفان بالدبابات.. قال يوسف بهشة.. كيف يقومون بإدخال الدبابات إلى المناطق السكنية؟ واصل أحمد.. لا أدري أي جنون هذا؟ إن سكان كيفان يعيشون في رعب والشباب هناك يقاوم بشجاعة باسلة.

قال يوسف: سيدخلون جميع المناطق. ثم تابع: ولكن أبناء الكويت أبطال. الخريف قادم وسيكون هذا العالم مميّزاً.. خريف بطولي ثوري، لن نكتفي بالمدفأة وإنما لابد من السلاح والمسدس.

قال يوسف: لن انخرط في سلك المقاومة، وإنما سأكتفي بتوزيع المواد الغذائية. قال أحمد: لقد طلبوا منك أن تغير لوحات السيارة هل فعلت ذلك؟

ابتسم يوسف وقال: وهل من المعقول أن أفعل ذلك؟

دخل آدم وقال: حاولوا أن يسرقوا المنزل المجاور لمنزلنا ولكن عندما رأوني هربوا.. قال يوسف: بارك الله فيك. لقد حاولوا سرقة البيت المقابل لنا الليلة الماضية ولكن عندما شعروا بأني أراقبهم توقفوا في الحال.

سأل آدم: أليست لك نية المغادرة؟

أجاب يوسف: إذا كنت أستطيع أن أحمل الكويت معي فأنا سأقوم بذلك.





ينظر إلى ساعته: التاريخ يشير إلى ١١/٤/١٩٩٠م، سيارة كبيرة تقف بمحاذاة الرصيف. تحمل حقائب ذات ألوان متعددة.

نساء وأطفال يتسابقون للركوب، تتطلق المركبة باتجاه الجنوب.

يتهد ثم يقول: الآن أنا مرتاح نفسياً. فأهلي خارج البلاد. العصافير تعزف لحناً جميلاً.. ومزعجاً في نفس الوقت.. يهطل المطر يسأل البشر هل غياب الضمير من حتميات القدر؟ هل الغدر والخيانة من صفات العرب؟ أم أنها طيش مجانيين ولا تشكل أي خطر؟ وضع يده على رأسه.. أخذ يفكر.. لقد تم تغيير أسماء المناطق فضاحية عبدالله السالم أطلقوا عليها «البصرة»، وميناء الشويخ «ميناء الرشيد».. مسجد الدولة «مسجد صدام»، مستشفى العدان «مستشفى النصر»، ولقد سميت مصفاة الأحمدية «مصفاة النداء» محطة تعبئة شرق الأحمدية «بشرق النداء»، علت وجهه ابتسامة، أخذ يتمتم أوغاد، جاحدين للجميل.. أعداء الله ورسوله.

إنها أفكار شيطانية، تتغلغل في رؤوسهم.. توسوس في صدورهم، تحثهم على الإجرام، على الاستهانة بحقوق الآخرين، يصرخ.. لا.. لا.. لن ينالوا منا.. سنهزمهم حتماً.

يقف في الشرفة ينظر من بعيد.. فناء مدرسي واسع.. طلبة من غير الكويتيين يصطفون.. يسمعون إلى شهاب الجاسم مدير عام المديرية العامة لتربية محافظة الكويت.. الذي هنا المدرسين والطلبة بعودة الفرع إلى الأصل، بقيادة الزعيم الأعظمي.. حدث نفسه بصمت.. كم أنا حزين.

دخل آدم: سأله ماذا تشاهد؟





أجاب يوسف: أشاهد الجحود ونكران الجميل يا آدم.

قال آدم وهو يستعد للجلوس: لقد منعوا بيع الخبز يا عمي.  
لماذا؟ لأننا لم نستبدل البطاقة، صرخ يوسف.. لن أستبدل البطاقة.  
لا أريد خبزاً.. قال آدم: اهدأ يا عمي.. ستفرج إن شاء الله.. قال  
يوسف: ونعم بالله.. وعليه توكلت.

قال آدم: لقد تم طرد الشباب الكويتي من المخازب وجاءوا بجنسيات  
أخرى: حتى لا يأخذون بعض أرغفة الخبز معهم.

قال يوسف : لدي بعض أرغفة الخبز هيا بنا نقوم بتوزيعها على أهل  
الفريج.

تودع الشمس الكون بثوب قرمزي ذات ألوان متعددة متداخلة يسمى  
الغروب.. الناس يصعدون فوق الأسطح.. يرددون الله أكبر.. الله  
أكبر.. ينضم يوسف إلى هذه الجموع ليشاركهم الدعاء، يتنفسون  
الصعداء بعد أن تكدسوا في السرايب.. هتافات تتسج أملاً جميلاً  
جديداً، لوحة تصور الوحدة والتكاتف.. التاريخ يسجل تلاحم الجبهة  
الداخلية بلغة جديدة.. لغة الشرفاء الأبطال، قرأ في عيون الواقفين  
على الأسطح رسالة مفتوحة.. يا سمو الأمير يا جابر الخير.. يا من  
تربعت على قمة الأخلاق قبل أن تتربع على أي قمة أخرى.. يا من  
فرشت لنا الطريق بالورد والياسمين.. يا من أخذت تردد كلنا للكويت  
والكويت لنا.. نجدد لك العهد. لن نستسلم ولن نرضى بحكومة غير  
حكومتك الرشيدة.. ستعود بإذن الله الذي حقق النصر لسيدينا  
محمد عليه الصلاة والسلام على القوم الكافرين، سيرحمنا برحمته  
الواسعة، ويمدنا بالقوة والصبر حتى يأتينا الفرج والفتح المبين، الكويت  
لنا وستبقى لنا بإذن الله تعالى.  
نظرات الأطفال تترجم حالة من الذعر تتزف أسئلة محيرة لماذا؟





## كيف؟ خالي يطلق علينا الرصاص؟

لعبنا تخلو من المسدسات المحشوة بالرصاص.. مسدساتنا مملوءة بماء عذب.. ساعة الحائط تدق تعلن بداية يوم جديد.. يشبه أمس.. سيرث ضوء الفجر وسيقوم بتوزيعه علينا بالتساوي.. ولكن نحن في ظلام منذ تاريخ ١٩٩٠/٨/٢م.. قال يوسف : ستشرق الشمس في داخلنا.. لأن داخلنا نظيف خال من الشوائب.. قال صديقه متأثراً: لقد ألقوا الأطفال الخدج خارج الحضانات.. سيموتون يا يوسف هؤلاء الرضع المساكين.. نهض يوسف من مكانه..صرخ إنهم حقاً أوغاد.. مجرمون.. لا.. بل هم وحوش ضارية لم يجدوا أحداً يروضهم. إنهم قادمون من غابات وليس من مدن.. قال صديق: وللأسف الشديد فهم جيران لنا.

الأسر تتسارع لوضع الشريط اللاصق على النوافذ خوفاً من استخدام الأسلحة الكيميائية، فلقد صرح رئيس النظام الغازي بأنه سيلجأ إلى هذه الطريقة في أي وقت يشاء.

الساعة الثامنة مساءً.. يوسف ملتصق بالمذيع يترقب ويتابع الأخبار.. مسجد مقامس في الرميثية يفرق في السكون الحزين.. صوت الطائرات يخترق الصمت. يلجأ الناس مرة ثانية إلى السرايب.. أكثر من عائلة في سرداب واحد.. بطانيات ملقاة على الأرض.. الأطفال يستلقون عليها.. كل شيء يدعو إلى الخوف والرهبة.. حافلات كبيرة تقف بالقرب من الجمعيات مزدحمة بما يسمى الجيش الشعبي.. ينتشرون في أحياء الكويت كالجراد الذي جاء ليدمر الأخضر واليابس.. يحاربون الخير.. قوتهم دماء البشر.. اقترب موعد الحرب الجوية. تغيرت ملاح الحزن، أصبحت تشبه ملامح الفرح.. أكوام الشاي والسكر موضوعة بالقرب من المدخل.. قال يوسف وهو يرتدي غترته مثلثاً: هيا بنا نقوم بتوزيع المواد الغذائية على الجيران.. قال الرجل السوداني: انتظر قليلاً فالجنود يتجولون في الشارع.. يطرق الباب.. يفتحه فتحة صغيرة.. يمد





يده، يأخذ الشاي يتمتم: جزاك الله خيراً. يسمع إطلاق نار.. دوي متفجرات.. يتساقبون إلى البيت.. يقول يوسف بهدوء: الحمد لله لقد تم التوزيع بسلام.

قال آدم: دائماً نحن نحب السلام أليس كذلك يا عمي.. أجابه: هل هناك أجمل من السلام ولكن لعب الأطفال لا تخلو من البنادق! ضحك يوسف ثم قال: ومن النباطة. أيضاً: ثم أردف يوسف لقد كنا نصيد بها طيوراً كثيرة وخاصة في وقت الظهيرة.. إنها لعبة ممتعة.. ولكنها مزعجة للكبار. قال يوسف: ولكنها لعبة ناجحة.

يجلس مع أصدقائه.. قال أحدهم: أنا غير مطمئن.. قال يوسف: الحرب الجوية ستبدأ وإن شاء الله نحن منتصرون.. ثم تابع:

علينا أن نقوي إيماننا بالله وبأننا أصحاب حق ولا بد أن يكون النصر حليفنا.. التفت يمينا تناول طبق حلوى.

قال لمن حوله: تفضلوا.. كلوا.. ثم تابع: وتفاءلوا.. فالظروف تشير إلى الأفضل.. إنها تسير لصالحنا.. لقد كسبنا الرأي العام العالمي.. وهذا مهم جداً لتدعيم القضية.. ثم نحن سباقون للخير فهذا كله يدفع البلاء.. إن مساعدتنا للدول الفقيرة كثيرة.. ثم أردف وهو يتكئ على الأريكة: لقد بنينا مساجد من تبرعات أهل الخير من أبناء الدير، وكذلك شيدينا مدارس وحفرنا آباراً فهذه الأعمال الخيرة تؤتي ثمارها في الوقت المناسب، متى شاء الله ذلك. كنا دائماً نزرع بذور الخير في أرض الخير.

## الاعتقال

شريط مرئي يمر في مخيلته وهو قابع في غرفة مظلمة.. التاريخ 18/1/1991 م.. يطرق الباب بقوة: ثلثة من الجنود يقتحمون المنزل







بشكل جنوني. يقتحمون الغرف، قال يوسف : ماذا تريدون؟ قال أحدهم بغضب: لقد صدر من منزلكم اطلاق نار. وتابع: أين ابنك صلاح؟ قال يوسف: صلاح خارج البلاد. ثم أردف: اطلاق النار صدر من البيت المجاور وليس من منزلنا، ركله الجندي ثم قال: خذوه إلى السيارة التي انطلقت به باتجاه قصر نايف شعر يوسف باليأس من لقاء أهله.. قال يحدث نفسه بحزن شديد: ليس المهم أن التقي بأهلي، فالمهم أن تعود الكويت لأهلها أخذ ينظر إلى ملابسه.. بيجامة بيضاء ذات خطوط حمراء.

مضت عشرة أيام.. عيناه الغائرتان تراقب حركة السلك الكهربائي بخوف.. يقترب منه بالإكراه: يضحك الجندي: ما بك؟ هل أنت خائف... ستكون هذه المرة أشد قسوة من المرة السابقة. يشعر بقشعريرة قوية تهز جسده المترهل. يتحسس أذنه اليمنى، ثم اليسرى.

جدران مخفر الفيحاء تحتضنه بحنان، تحاول أن تخفف عنه، يقترب منه أحد الجنود معه سكين قاطع، قال ساخراً: أين أنت الآن؟ قال يوسف وهو مرهق ومتعب لا أدري.. أجاب الجندي: أنت في مخفر الفيحاء.. خذ هذه الدشداشة إنها لأحد الأسرى السابقين.. قال يوسف وهو ينظر إلى السكين التي في يده، ثم واصل يتمتم، متى سأخرج؟ قال الجندي ساخراً: خارج المخفر الطقس بارد جداً، لذلك رأينا أن تبقى معنا أفضل. مضى ثلاثون يوماً، بشاير النصر تعم البلاد، قليل من الحب يشفي الجروح، السيارة تسير باتجاه منطقة النزهة، قال أحد الجنود انظر له تفحصه هل مات؟ قال الآخر: نعم. إنه جثة. لقد أطلقنا عليه خمس طلقات، أعتقد أنها كافية لإزهاق روحه، سنلقي به هنا.

قال أحدهم: ما رأيك لو نقلها إلى مستشفى الصباح. أجاب الجندي الآخر: فكرة جميلة هيا بنا.





شذى النصر يذوب في الهواء الجوي يلطف الأجواء الملوثة بالدخان المتصاعد من آبار البترول، يتغلغل في الحواس فتتعش المزاج.. ولكن الجرح يبقى ينزف.. ولا جذور مازالت معوجة وتحتاج إلى تقويم.. نسير في طريق الحياة باتجاهات جبرية، البيوت تنتفس الصعداء، النوافذ تخلصت من الشريط اللاصق.. صفحة جديدة تسطر بها الأيام.. بطولات الشهداء والأسرى.. تخاطب العالم وتقول أن أهل الكويت صمدوا بشجاعة وبسالة.. بأنهم على مستوى الحدث.. وبأن أميرنا جابر تربع على قمة الأخلاق قبل أن يتربع على أية قمة أخرى، فاحتضن شعبه وأصبح لهم وطن.. وقف بجانبهم.. منحهم مساحة واسعة من الحب والحنان.. الإبن يعود إلى أرض الوطن بعد التحرير.. يتبارى، الفرح مع الحزن.. يحمل معه أحلام و آمال تصطدم بحجر مزخرف مرصع.

أين والدي.. يجب لا أعلم، يسرع يسجل اسمه مع الأسرى، يعود مرة ثانية، يفتح الثلاجات، يبحث عن جثة والده، جلس على الكرسي قال وهو مطمئن: والدي مازال حياً. الباب يطرق: فتح الباب: اهلاً وسهلاً، تفضل.. قال صلاح:  
ما أخبار الديرة الآن؟ قال الجار: تسير إلى الأحسن. قال صلاح وهو يبتسم: نسينا أن نقول مبارك عليك الشهر.

قال الجار مازحاً: لا بأس، فهذا من تأثير الصيام. ثم أردف عساكم من عواده.

سأله صلاح : أليس لديك أية معلومات عن والدي؟  
قال الجار: لا.. ولكن هناك سائق إسعاف في مستشفى مبارك من الممكن أن يفيدك فهو لديه مجموعة كبيرة من الصور.  
غسق الليل ، يمسك آلة التكبير، ثم مد يده فأخذ عدسة وضع الصورة تحتها، وعندها، تعرف على وحشية الإنسان المجرم، ملامح تجسد قسوة الأوغاد.







